

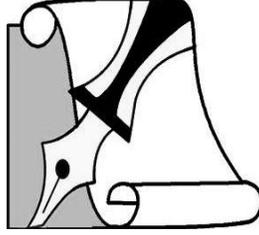


مركز البحوث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقرير نمف الشهري

تحليل للتطورات السياسية
والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com



مركز الدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

- ١ . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمم.
- ٢ . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
- ٣ . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
- ٤ . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

جبهة الجولان في ميزان التطورات الجيوستراتيجية

١ - مدخل

لقد باتت الحرب المفروضة في سوريا وعليها على وشك الانتهاء، حيث يتأكد أكثر فأكثر بأن التحالف الذي يضمّ الرئيس السوري بشار الأسد وحزب الله وإيران وروسيا هو الطرف المنتصر على ائتلاف الشرّ والعدوان المتمثّل بأكثر من ثمانين دولة متآمرة، أبرزها أميركا و"إسرائيل" والسعودية وقطر والإمارات الخليجية وتركيا والدول الأوروبية. على ضوء ذلك تنطلق تل أبيب من رؤية مفادها أن جميع الطرق الدبلوماسية لن تؤدي إلى إحداث تغيير كبير في السلوك الإقليمي لإيران الذي أدّى إلى إفشال كافة المخططات الصهيونية الأميركية، وتعزيز محور المقاومة وتعاضم التهديد على إسرائيل. في الوقت نفسه، لا تستطيع تل أبيب التكيف مع النهج الذي تنتهجه الجمهورية الإسلامية. ومن هنا تأتي مساعيها الحثيثة في الدفع نحو إلغاء الاتفاق أو تعديله، لكن على أمل أن يؤدي ذلك إلى التدرج نحو ردود متبادلة بين إيران والولايات المتحدة. ويراهن صنّاع القرار السياسي في تل أبيب على أن يدفع ذلك نحو حافة الصدام الذي يفترض أن يتوجّح إمّا باتجاه صدام عسكري مباشر بين واشنطن وطهران (وهذا ما تتمناه وتأمّله، خاصة أنّها تسلّم بحقيقة أنّ معالجة هذا التحديّ أكبر من حجمها وقدراتها)، أو الدفع نحو مفاوضات جديدة لفرض تعديلات جذرية في السياسات الإقليمية التي تقوم على دعم قوى المقاومة في لبنان والمنطقة، ويرجّح أنها تدرك أنّ هذا الأمر لن يتحقق. أو على الأقل إعادة فرض العقوبات التي بحسب تعبير ننتياهو، ينبغي أن تشلّ إيران. من هنا، يتّضح أن العنوان هو البرنامج النووي الإيراني، لكن الخلفيات الإسرائيلية تتمحور حول الضغط على إحداث تعديلات في الخيارات الاستراتيجية الإيرانية المتّصلة

بالموقف من قضية فلسطين، ودعم حزب الله وقوى المقاومة، وإلا فإنّ عليها أن تدفع الأثمان التي تعرقل مسيرتها العلمية والصاروخية والاقتصادية.

على الأثر سرعان ما تبين بأنّ المشكلة بالنسبة لكيان العدو لا تكمن في بقاء نظام الرئيس الأسد واستمراره فحسب، وهو أمر بات بحكم الأمر الواقع، بل في التداعيات الجيوستراتيجية المترتبة على ذلك في خط المقاومة والتحرير، والتي هي ثمرة من ثمار التوظيف الإيراني الأمني والعسكري والاقتصادي الهائل في حرب عالمية ضروس قلما شهد العالم المعاصر مثيلاً لها بشراستها وضراوتها وتعقيداتها وكثرة الوسائل المادية والبشرية والإعلامية التضليلية التي استخدمت فيها. ومثلما امتلكت إيران، بحكم الأمر الواقع والنضال التاريخي المرير، موطئ قدم راسخ لها في لبنان، فإنها تعتبر بأنّ لها الحق أيضاً بعد فوزها في الحرب السورية، بامتلاك واقع مقاوم مشابه في سوريا لاسيّما في هضبة الجولان على طول الحدود مع كيان العدو الصهيوني المحتل لفلسطين والمقدسات الإسلامية، لاسيّما المسجد الأقصى المبارك، حيث أنّ استراتيجيتها الكبرى والبعيدة المدى هي تحرير فلسطين والمقدسات من الاحتلال الصهيوني أميركي. وهذا يعني أنّه عندما ينشأ مثل هكذا وضع جيوسراتيجي متقدّم، فإنّ كل مواجهة مع حزب الله في لبنان ستُجرّ إلى مواجهة أوسع، تضمّ الجبهة السورية في الجولان. وأكثر من ذلك، فإنّ الرئيس الأسد المضيف والممتنّ لإيران لمساعدتها غير المحدودة لدعمه ونصرته، سيكون ملزماً بالمساعدة بحيث أنّ أي مواجهة قد تنشأ مع حزب الله في لبنان من شأنها أن تؤدّي بسرعة إلى حربٍ شاملة بين "إسرائيل" وسوريا أيضاً، والرافعة الإسرائيلية لمواجهة هذا المنحى الخطير في نظر الإسرائيليين محدودة. فالدول تعمل وفقاً لمصالحها، ولن يُجدي "إسرائيل" نفعاً أن تشرح للإدارة الأمريكية أو للرئيس الروسي بوتين لماذا الانتشار الإيراني الجديد في الجولان سيء بالنسبة لها. كما أنه ليس مُجدياً لها بالضرورة أن تشرح لبوتين بأنّ تعزيز التواجد الإيراني في سوريا يتعارض مع المصالح الروسية في المدى البعيد. كما لن تجديها نفعاً محاولة تحريك النوازع المذهبية بادّعاء أنّ الوجود الإيراني في سوريا يزعج كل الدول السنيّة، مع التشديد على تركيا والسعودية والأردن.

٢ - حزب الله في الميزان الجيوستراتيجي:

سلّط موقع لونغ وار جورنال الأميركي، التابع لمركز أبحاث الدفاع عن الديمقراطيات الأميركية، الضوء على الاستعدادات العسكرية التي تقوم بها جبهة المقاومة، كاشفاً عن معلومات باتت تعرفها الاستخبارات الإسرائيلية تفيد بأنه من بين "المفاجآت" المقبلة، نقل حزب الله أسلحة عالية الجودة ودقيقة إلى مرتفعات الجولان، التي ستكون بمثابة جبهة ثانية لجنوب لبنان. أما المفاجأة الأخرى، فهي عزمه إطلاق صواريخ بعيدة المدى على إسرائيل من عمق سوريا، وتحديدًا من جبال القلمون التي يسيطر عليها في الجانبين السوري واللبناني.

يضيف الموقع أنه تمهيداً لهذه الخطوة وتحسباً لاندلاع أي حرب، جمع حزب الله ترسانة صواريخ ضخمة حول مدينة بعلبك، بالقرب من معقله في وادي البقاع لنقلها عند الحاجة واستخدامها في قصف إسرائيل. واستكمل تقريباً بناء نفق في وادي الزبداني، وربطه بمعقله في القلمون. والغرض من ذلك هو إخفاء نقل الأسلحة عن المراقبة الجوية، إذ كانت منطقة القلمون محور الضربات الجوية الإسرائيلية الأخيرة.

إنّ تحويل العمليات الصاروخية إلى منطقة القلمون، وفق الموقع، سيجعل تمويه الصواريخ سهلاً وحماية مخازنها وقاذفاتها من هجوم الطائرات الإسرائيلية. فمنطقة القلمون الواسعة، التي تمتدّ جزئياً على الجانبين اللبناني والسوري من الحدود، تعتبر مثالية لإطلاق صواريخ باليستية بعيدة المدى على إسرائيل.

ويشير الموقع إلى لائحة أهداف قد يستهدفها حزب الله عبر تلك المنطقة، ربطاً بخطاب الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصرالله في ١٦ شباط ٢٠١٧، وتشمل مصنع الأمونيا في حيفا (تمّ إغلاقه لاحقاً)، ومفاعل ديمونة الذي يقع في مركز النقب للأبحاث النووية ويتألف من عشرة أبنية، وفيه مفاعل نووي ومصنع لإعادة معالجة البلوتونيوم ومفاعل ناخال سوريك الذي يعمل فيه نحو ٢٠٠ عالم وتقني. في هذه الأثناء تبين أن الهجمات الإسرائيلية المتكررة على قوافل السلاح، التي تحاول الوصول إلى لبنان من سوريا، تسببت وفق الموقع بإنشاء مرافق جديدة لتصنيع الصواريخ داخل لبنان. ويُعتقد أنّ معظمها موجود في منطقة القصير الخاضعة لسيطرة حزب الله في سوريا. ويذكر الموقع بما نشرته وتناقلته بعض المواقع العربية

والإسرائيلية عن قيام الحرس الثوري الإيراني ببناء مرافق لتصنيع الصواريخ بعمق أكثر من ٥٠ متراً تحت الأرض، لتحسينها ضدّ الضربات الجوية. ومصانع الصواريخ هذه يمكن أن تنتج صواريخ أرض-أرض بمدى يصل إلى أكثر من ٥٠٠ كم، وهي قادرة على ضرب أي مكان في إسرائيل، إضافةً إلى ضرب السفن الإسرائيلية ومنصات الغاز البحرية في البحر الأبيض المتوسط. ومما لا شك فيه، وفق الموقع، أن "إسرائيل" تقوم برصد هذه التطورات عن كثب، وهي على علم بالترجمات، وعلى استعداد جيد لمواجهة أي هجوم مستقبلي، من خلال تشديد جيشها على التغطية الاستخباراتية لأنشطة الحزب أثناء القيام بأعمال هندسية واسعة على طول الحدود وفي مرتفعات الجولان لعرقلة اختراق القوات المهاجمة. وفي التقديرات العسكرية الإسرائيلية لما يشكّل تهديداً أساسياً للأمن الإسرائيلي، يتصدّر "حزب الله" كل اللوائح، التي تتركز في اعتبار "داعش"، "النصرة"، "حماس"، و"الجهاد الإسلامي" كمنظمات تشكّل تهديداً محتملاً للأمن القومي الإسرائيلي. وهذا ما أشار إليه المندوب الإسرائيلي لدى الأمم المتحدة داني دانون حول أنّ "حزب الله" يمتلك ١٠٠ ألف صاروخ متطور ويستعد لجولة قتال جديدة.

وأيضاً كان رئيس الأركان الإسرائيلي، غادي أيزنكوت، قد اعتبر أنّ "حزب الله" هو التحدي العسكري الأساسي لإسرائيل في هذه الفترة، وذلك في ضوء تعاضم ترسانته الصاروخية، والخبرة القتالية التي حصل عليها عبر مشاركته في الحرب الأهلية السورية إلى جانب نظام الرئيس الأسد.

في المقابل تتعدّد القراءات حول هذا الموقف، فهناك من يعارضها ومن يوافق عليها لكنه يفضلها على غيرها من الخيارات الحدودية، بمعنى أنّ الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة، تحت سلطة "حزب الله" تبقى أفضل من أن تكون تحت أي سلطة أخرى غير منضبطة أو غير قادرة على ضبط الوضع، لا سيّما أنه يفترض وجود قواعد إشتباك أصبحت معروفة على الصعيد العسكري والاستخباري بين الحزب والعدو الإسرائيلي.

إنطلاقاً من هذه النظرة، ثمة آراء في "إسرائيل" تفيد بوجود الإستفادة من الإتفاق النووي بين إيران والغرب، للمساهمة في ضبط الأوضاع أكثر على الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة، إن كان في لبنان أو في

سوريا. وهنا تتلخّص التقديرات الإسرائيلية بأنّ صعود النفوذ الإيراني في المنطقة لن يكون على حساب "إسرائيل"، إنّما من سيدفع الثمن الأكبر هي الدول العربية.

في التقديرات الإسرائيلية أيضاً، إنّ "حزب الله" راكم قدراته الصاروخية على المستويين النوعي والكمي. كما تلحظ هذه التقديرات تطوّر قدرات الحزب التدميرية ودقّتها في الإصابة وقدرتها على الوصول إلى أي نقطة في الكيان الغاصب، وإنطلاقاً من ذلك فإنّ الحديث الدائم لدى الإسرائيليين هو أن جيشهم في حالة متواصلة من الإستعدادات ووضع الخطط الهجومية التي من شأنها أن تقلّل من خطر صواريخ الحزب وتمنع قيامه بعملية توغّل في "الداخل الإسرائيلي".

هذا الكلام، يمكن مشاهدته عملياً في الميدان السوري، إذ أن الطيران الإسرائيلي يشنّ ضربات بإستمرار ضد أي أهداف لـ "حزب الله"، وخصوصاً القوافل التي تقلّ أسلحة وصواريخ. وعليه فقد برز في هذا المجال تصريح لياثير لابيد زعيم حزب "يوجد مستقبل" الإسرائيلي، يقول فيه إن المواجهة مع "حزب الله" قريبة جداً، وهي مسألة وقت فقط.

تعليقاً على هذا الكلام، يمكن بحسب مصادر متابعة، إستخلاص إحتمالين: الأول هو أن تستغل إسرائيل وضع حزب الله الحالي، والغطاء الدولي الذي تحصل عليه، بالإضافة إلى الإنفاق النووي وتضييق الخناق الإقتصادي على الحزب، لشنّ عملية عسكرية ضدّه لتقليص قدراته العسكرية، فيما الإحتمال الثاني يُفيد بأنّ "إسرائيل" لا تريد سوى التهويل بالحروب، أمّا في الواقع فإنّها تريد أن يبقى الوضع على الجبهة مع حزب الله على ما هو عليه خصوصاً أنّ الحزب منهمك في سوريا، وهناك شبه ضمانة لأن تبقى الجبهات هادئة معه.

أمام هذا المشهد تؤكّد مصادر قريبة من الحزب، أنّ تقديرات الإسرائيليين مبنية على أساس معلومات متوافرة لديهم وهم يتابعون بشكلٍ مكثّف مسألة تنمية قدرات حزب الله، وهي تستبعد أن يقوم الإسرائيلي بأي ضربة مُسبقة، وتضع هذه التهويلات في سياق محاولة إستباق أي عملية قد يريد شنّها وتبريرها، ولا ينفصل الأمر عن علاقته بالأمر الداخلي الإسرائيلي، إن على الصعيد السياسي، أو على صعيد تنمية قدرات الجيش، خصوصاً أنّه حين كان الإسرائيليون يريدون زيادة حجم الموازنة العسكرية يتمّ اللجوء إلى الحديث عن

التحديات الخارجية المحتملة. وفي السياق نفسه ثمة من يعتبر أنّ الوضع على هذه الجبهة سيبقى على ما هو عليه رهنأً، وتاماً على شاكلة ما كان الوضع عليه على الجبهة السورية، بمعنى أن تظلّ "إسرائيل" عدواً وتبقى الجبهة هادئة.

٣ - تحديات الجولان الأمنية في نظر العدو:

أكدت مصادر إسرائيلية أنّ حالة من القلق والتأهب تسود لدى الحكومة الإسرائيلية على ضوء انسحاب المسلّحين الإرهابيين من قرى هضبة الجولان السورية، وعودة الجيش السوري إلى تلك المناطق بالاتفاق بين الطرفين. وأشارت صحيفة يديعوت أحرونوت العبرية إلى أنّ التخوّف يأتي من "تمهيد الطريق لحلفاء الجيش السوري وإيران وحزب الله للدخول إلى الهضبة". وقالت الصحيفة أنّه بعد هزيمة الفصائل المسلّحة في حلب، أجرى النظام السوري اتّصالات مع المسلّحين في الجولان بهدف التوصل إلى تفاهات على إخلاء المناطق التي يسيطرون عليها بحسب نموذج الاستسلام في حلب. وأشارت إلى أنّ الجيش السوري تمكّن حتى الآن من إقناع المسلّحين في العديد من البلدات في الهضبة بترك المنطقة بسلام. وسيطر الجيش السوري على هذه القرى. ونقلت الصحيفة عن مصادر درزية في الجانب الإسرائيلي من الهضبة أنّه جرت مفاوضات بين النظام السوري وممثلي المسلّحين في قريتين درزيتين تجاوران السياج الحدودي مع "إسرائيل" هما مزرعة بيت جن، وبيت جن. ووفق الصحيفة أيضاً فإنّ الطرف الذي يقدم المشورة للسوريين في مفاوضاتهم مع المسلّحين، يسمّى "مركز المصالحة"، وهو جزء من منظومة الاستخبارات الروسية في سورية، ويتولّى إجراء اتصالات مع قادة القبائل والمسلّحين والتوصل إلى اتّفاق لوقف إطلاق النار. وبحسب الصحيفة فإنّ عودة الجيش السوري إلى الهضبة "يحتّم على إسرائيل إجراء تقييم جديد للجبهة السورية". وأضافت: "لقد حدّدت "إسرائيل" خطأً أحمر، يرفض السماح بتواجد قوات حزب الله وإيران على الحدود. هذا يعني أنّ عودة الجيش السوري للمرابطة على الحدود من دون تفاهات بين القوى العظمى حول حجم وطابع القوات وانتشارها في هذا القطاع، يمكن أن يقود إلى استئناف المواجهات بين "إسرائيل" وسورية. وبحسب الصحيفة فإنّ جهات الاستخبارات الإسرائيلية

لاحظت بعد استعادة الجيش السوري لمدينة حلب، ازدياد الثقة بالنفس لدى الرئيس الأسد ورغبته باستغلال الفرصة لاستعادة السيطرة على هضبة الجولان.

من جهةٍ أخرى، وعلى الصعيد الرسمي أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أن "إيران تسعى إلى فتح جبهةٍ ثالثةٍ ضدّ إسرائيل مستخدمةً مقاتلي حزب الله في هضبة الجولان". وأضاف: "إنّ محاولات طهران للوصول إلى حدود إسرائيل من أخطر التهديدات الأمنية التي تواجهها الدولة العبرية... وإلى جانب عمليات حزب الله في الشمال بتوجيهات إيرانية وحماس في الجنوب تسعى طهران إلى فتح جبهةٍ ثالثةٍ في هضبة الجولان من خلال إرسال آلاف المقاتلين من حزب الله الموجودين في جنوب سوريا وهم تحت إمرة إيرانية مباشرة".

وتابع نتنياهو أنّه تمّ إطلاع الوزراء على "التحديات الأمنية التي تتطوّر من حولنا وفي مقدّمتها محاولة إيران توسيع وجودها عند حدود إسرائيل في أثناء تطويرها السلاح النووي".

وكانت غارة إسرائيلية على هضبة الجولان شُنّت في ١٨ كانون الثاني الماضي قد أسفرت عن استشهاد ستّة عناصر من حزب الله وعميد في الحرس الثوري الإيراني.

في المقابل قال رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية، حسن فيروز آبادي، أنّ مقاومة شعبية على غرار حزب الله اللبناني تتشكّل في سوريا، وذلك بعد أيام على إعلان أمين عام حزب الله سماحة السيد حسن نصرالله، أنّ الرّدّ السوري على الغارات الإسرائيلية هو "رد استراتيجي كبير" يتمثّل في أحد جوانبه بـ"فتح جبهة الجولان أمام المقاومين". وقال إن "صمود الشعب السوري في وجه المجموعات الإرهابية في سوريا وتصديّه للمؤامرات الخارجية جاء نتيجة بسالة وشجاعة ووعي الشعب السوري بقيادة الرئيس بشار الأسد". وأضاف: "إنه ولحسن الحظ ولرؤية الرئيس السوري الاستراتيجية نشهد اليوم في سوريا تأسيس حركات مقاومة شعبية على غرار حزب الله اللبناني، كما أنّ لجاناً شعبية تمّ تشكيلها في الأراضي التي حرّرها الجيش السوري من سيطرة مرتزقة القوى التكفيرية". واعتبر أنّ "الحرب في سوريا قد انتهت، وأنه لم يعد للغرب الفرصة لإعادة تقييم مواقفه حيال سوريا"، وطالب من وصفهم بـ"الأعداء" بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لسورية من

الآن فصاعداً. بدوره، قال سماحة السيد حسن نصر الله: "إننا في المقاومة اللبنانية نعلن أننا نقف إلى جانب المقاومة الشعبية السورية ونقدّم دعمنا المادي والمعنوي والتعاون والتنسيق من أجل تحرير الجولان السوري". وأعقب تصريحات الرئيس الأسد والسيد نصرالله إعلان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة أنّها ستشكّل ألوية تعمل على تحرير كل الأراضي التي تحتلّها إسرائيل وخاصة مرتفعات الجولان.

بالنسبة للموقف الأميركي جاء في تصريح وزير الخارجية اريكس تيلرسون، أنّ إدارة الرئيس دونالد ترامب تستعرض حالياً سبل مواجهة التحديات التي تفرضها إيران في المنطقة. ولكي تكون أي خطة احتواء فعّالة، على حدّ قوله، يتعيّن على واشنطن "دراسة استراتيجية إيران الناشئة حديثاً في بلاد الشام، ويجب أن تدرك أنّها على الرغم من أن طهران لا تزال تأمل في تحقيق الهيمنة الإقليمية على المدى الطويل، إلا أنّ خطتها الحالية هي التركيز على تحقيق الهيمنة والحفاظ عليها في العراق ولبنان وسوريا.

ويعتبر الأميركيون أنّ الهدف النهائي لإيران هو توسيع نطاق وصولها إلى هضبة الجولان، بهدف تشديد الخناق حول "إسرائيل". ولا يُخفي الإيرانيون اهتمامهم الشديد بفتح جبهة الجولان أمام أنصارهم بل ويشارك ضباط من الحرس الثوري في إنشاء فوج الجولان، الذي يتألّف جزئياً من فلسطينيين مقيمين في سوريا ينتمون إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة أحمد جبريل. ومن شأن هذا التكتيك أن يوسّع خط المواجهة الحالي في لبنان بين حزب الله و"إسرائيل" وصولاً إلى نهر اليرموك حيث تلتقي الحدود السورية الأردنية الإسرائيلية. ويتحدّث قادة بعض الوحدات العراقية التي ترعاها إيران، مثل أكرم الكعبي وقيس الخزعلي، بصراحة عن نيّتهم في نقل قواتهم إلى جبهة الجولان.

التحضيرات من محور إيران سوريا حزب الله لفتح جبهة عسكرية تستنزف "إسرائيل" وتجبرها على الانسحاب من كامل هضبة الجولان لم تعد سرّاً بعد الهجوم الإسرائيلي في القنيطرة، والذي كشف وجود ضباط كبار في الحرس الثوري الإيراني وقيادات عسكرية من حزب الله لأول مرة في تاريخ تلك الجبهة التي أُغلقت مذ عام ١٩٧٤.

أمام هذا المشهد نتوقّف عند ملاحظتين على هامش الأحداث:

- الأولى تشكّل مفصلاً استراتيجياً له دلالاته، وهي الإعلان الإيراني وفي بيان رسمي عن استشهاد العميد محمد علي الله دادي، وهذا الإعلان هو الأول من نوعه. والأهم أنّ العميد الإيراني استشهاد على حدود الجولان السوري المحتل. وإذا كانت "إسرائيل" تريد أن تقول لإيران وحزب الله من خلال الغارة التي شنتها وأفضت إلى سقوط شهداء، أنكم تتجاوزون خطوطاً حمراء بتواجدكم هناك فإنّ إيران بهذا الإعلان تقول أنّ قواعد اللعبة تغيّرت وأنّ قواعد الاشتباك قد تغيّرت أيضاً، ويجب أن تسلّموا بأننا أصبحنا هنا وعلى المكشوف. بعد هذا الإعلان طرق الأمريكيون أبواب إيران عبر وسطاء وأرسلت الولايات المتحدة إشارات، بأنّ هذا تجاوز لا يمكن السماح به بينما الردّ الإيراني كان مفاده أنّ الخطوط قد تجاوزتها "إسرائيل" بالذات منذ زمن بعيد ولسنا نحن.

- الثانية هي أنّ الاستعداد الإسرائيلي لردّ المقاومة على الغارة الإسرائيلية القاتلة تمثّلت بإرسال تعزيزات ليس على جبهة الشمال اللبناني فقط كما جرت العادة بل أيضاً باتجاه الحدود السورية، وهذا يعني أنّ "إسرائيل" بدأت تتعامل مع جبهة واحدة مفتوحة تمتد من الناقورة إلى القنيطرة، وأنّ احتمالات الردّ قد تكون من الجولان وليس من جنوب لبنان. وهذا يعني بالمحصلة أنّ اختراق "إسرائيل" المتكرّر لاتفاقية فضّ الاشتباك بعد حرب ٧٣ وتنفيذها غارات في الأراضي السورية مستغلّة الأزمة السورية خلال ثلاث سنوات ونيف يرتدّ عليها الآن، وعليها أن تتحمّل تبعات هذه الأعمال العدوانية.

أما في الجولان فإنّ المقاومين الذين استشهدوا لم يكونوا في زيارة عابرة ولم تكن زيارتهم للجولان هي الأولى، وهذا أمر بديهي لأنّ التحضيرات لإطلاق مقاومة سورية ضدّ "إسرائيل" لم تبدأ من يوم الغارة، فالعمل على تدريب مقاومين سوريين وتجهيزهم بأسلحة وصواريخ وحفر أنفاق يتمّ العمل عليه منذ سنتين وهذه المقاومة ستكون جاهزة قريباً لبدء عمليات تحرير الجولان السوري المحتل بالقوة وصولاً إلى تكرار مشهد تحرير جنوب لبنان في عام ٢٠٠٠.

في المحصّلة، إنّ هذه المقاومة ستقلب معادلة الميدان السوري داخليا، وستزيد من أوراق قوة النظام في الداخل وتُربك معارضيه في الخارج، وستُخرج جبهة النصر وأخواتها في منطقة الحدود مع "إسرائيل" الذين يتعالجون بالمئات في المشافي الإسرائيلية، فأيّ مقارنة اليوم بين مقاومين يذهبون إلى الحدود لفتح جبهات

على العدو الإسرائيلي لتحرير أرض عربية وبين ميليشيات إرهابية عميلة ومأجورة، وتتعاون مع العدو وتؤدي مهمة جيش انطوان لحد آخر في الجنوب السوري .

بطبيعة الحال إن أي كسر لقواعد الاشتباك في منطقة الجولان له انعكاساته الدولية، وإذا أردنا أن نُترجم هذا التغيير في الخارطة العسكرية في الصراع مع "إسرائيل" على المستوى الدولي نقرأ فيه لعبة ليّ ذراع وتحرك في الميدان الاقتصادي بين موسكو وواشنطن، حيث العمل على هبوط أسعار النفط العالمية لضرب المصالح الحيوية لكل من روسيا وإيران.

إنّ موسكو ليست بعيدة عن مشروع محور المقاومة في التحضير لتغيير قواعد الاشتباك على جبهة الجولان وجنوب لبنان، ولا يُنتظر من واشنطن في المقابل أن تغضّ النظر عن هذه التحركات الخطيرة. وبعيداً عن المصالح الدولية فإنّ أي جبهة تُفتَح على "إسرائيل" هي في النهاية لمصلحة الشعوب العربية والشعب الفلسطيني في المقدمة. والجدير بالذكر أنّ تصوّرات الحرب المُقبلة مع العدو الإسرائيلي يتمّ رسمها فعلاً في دوائر القرار لدى إيران وحلفائها بجدّيّة كبيرة، والحديث المسرّب حول هذه التصورات يقول أنّ الحرب المُقبلة ستفتح فيها كل الجبهات دفعة واحدة.

٤ - تطوران بارزان في سياق التحولات:

لقد برز تطوران ميدانيان لافتان في سوريا يستوجبان التوقّف عندهما وهما:

- أولاً، أطلقت المضادات الأرضية السورية الصواريخ نحو طائرات إسرائيلية أغارت فجر الجمعة ١٧ آذار ٢٠١٧ على مواقع داخل الأراضي السورية، وفق ما أفاد الجيش الإسرائيلي موضحاً أنّه "للمرّة الأولى منذ ٦ سنوات، تطلق المضادات الأرضية السورية صواريخ باتجاه مقاتلات سلاح الجو التي اعترضت أحدها، وهو ما شكّل خطراً". وأشار الجيش الصهيوني إلى أنّ الطائرات الإسرائيلية قصفت قافلة سلاح استراتيجي شمال سوريا يزعم أنها كانت متّجهة إلى حزب الله.

ولفتت مصادر مُطلّعة إلى أنّ "روسيا على علم بنية إيران الإمساك بالساحة الجنوبية السورية، في مقابل ترك بقية الساحة لموسكو، وذلك لتشكيل مجموعات هناك لمقاومة "إسرائيل"، مثل "حركة النجباء". وأردفت أنّ "موسكو نسّقت مع الإسرائيليين، خلال زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي الأخيرة إلى موسكو، الجهود في سوريا. وقال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لبنيامين نتنياهو أن لا علاقة للروس بما تفعله إيران هناك. وكشفت مصادر إعلامية عن أنّ "الإيرانيين غيّرُوا في الفترة الأخيرة شيفرات أنظمة الدفاع الجوي السورية، ما أدى إلى تفعيلها وانطلاق صواريخها نحو الطائرات الإسرائيلية". وأضافت أن "مهندسين عسكريين إيرانيين أرسلوا إلى سوريا لتغيير شيفرات منظومات الدفاع الجوي الصاروخية لتفعيلها، وقد نجحوا الشهر الماضي في تغيير بعضها، فتمكّنت المنظومة المعدّلة في رصد الطائرات الإسرائيلية المغيّرة وانطلاق الصواريخ باتّجاهها".

ولفتت المصادر نفسها إلى أنّ "حزب الله أطلق صاروخاً نحو القاعدة التي انطلقت منها الطائرات الإسرائيلية"، مؤكّدة أنّ "كلفة تصنيع الصاروخ الذي أطلقه الحزب تبلغ نحو ألفي دولار، في حين أنّ الصواريخ التي استعملتها إسرائيل لاعتراضه وتدميره تبلغ تكلفتها نحو ٣ ملايين دولار".

إلى جانب ذلك، نقلت وكالة "أسوشيتد برس" عن الجيش الإسرائيلي تأكّيده سقوط طائرة بلا طيار تابعة له في سوريا في ظروفٍ غامضة. وكانت القيادة العامة للجيش السوري أعلنت إسقاط طائرة إسرائيلية وإصابة أخرى خلال الغارات، فيما نفى بيان للجيش الإسرائيلي تضرّر أي طائرة.

هذه التطوّرات تؤكّد أنّ إيران جدّية في سعيها لإعادة فتح جبهة الجولان عبر تغيير موازين القوى، فضلاً عن تغيير قواعد الاشتباك التي ظلّت نفسها على مدى الـ ٤٠ سنة الماضية. ويمكن القول أن إجراء الجيش الإسرائيلي الأحد ١٩ آذار من هذا العام تدريباً مفاجئاً على مستوى الأركان العامة لقوات الاحتياط في المنطقة الجنوبية العسكرية، للتدرّب على سيناريوهات متنوعة بخصوص الجبهة الجنوبية، يؤكّد أنّ الإسرائيليين يأخذون تهديد فتح حرب من هذه الجبهة بنحو جدّي جداً، محاولين أخذ ضمانات من الروس تقضي لكبح جماح إيران.

- ثانياً، المعارك الطاحنة التي تدور شرق دمشق للمرة الأولى منذ بدء الحرب في سوريا بعد هجومين متتاليين للمعارضة على مواقع القوات الحكومية السورية، وذلك توازياً مع الاستعداد لجولة جديدة من المفاوضات في جنيف برعاية الأمم المتحدة توّصلاً إلى حلّ للنزاع. وشنتّ الفصائل مع "جبهة فتح الشام" هجومها انطلاقاً من حيّ القابون شمال شرق دمشق حيث تدور المعارك على بعد نحو عشرة كيلومترات من وسط دمشق التي كانت بمنأى نسبياً عن ويلات الحرب. وحصول المعارك في هذا التوقيت في العاصمة يُشير إلى أنّ هذا التطور هو لجسّ نبض الرئيس بشار الأسد، إذ إنّ من المفترض أن تغيّر هذه الأحداث المعادلة لمصلحة المعارضة، فضلاً عن جسّ نبض الروس الذين يدعمون الأسد.

٥ - تقديرات خاصة:

أ - تقديرات نتياهو:

عبر مسؤولون إسرائيليون رفيعي المستوى، وفي مقدّمهم رئيس الحكومة، بنيامين نتياهو، في الأشهر الأخيرة عن تخوّفهم من إمكانية اقتراب قوات حرس الثورة الإيرانية ومقاتلي حزب الله وميليشيات موالية لإيران، من مناطق قريبة للجولان المحتل. وعلى الرغم من أنّ أجهزة الأمن الإسرائيلية لم تلاحظ تواجداً إيرانياً كهذا في الأشهر الأخيرة، إلا أنّ الاستخبارات الإسرائيلية تقدّر بأنّ الإيرانيين سيحاولون تدريجياً التسلل إلى منطقة خط وقف إطلاق النار، الذي تعتبره "إسرائيل" حدودها مع سورية بعد سن قانون ضمّ الجولان، وأنه في المدى البعيد سيستقر تواجدهم العسكري والاستخباراتي بما يسمح لهم باستخدام الجولان المحرر كجبهة ثانوية ضدّ إسرائيل، في حال نشوب حرب أخرى بين إسرائيل وحزب الله. وذكر الموقع الإلكتروني لصحيفة "هآرتس" أنّ إسرائيل تقدّمت بطلب إلى روسيا والولايات المتحدة لكي تهتما، في إطار اتّفاق وقف إطلاق النار في جنوب سورية، بالألّا تتواجد قوات إيرانية أو تابعة لها في المنطقة الواقعة غربي الطريق التي تربط بين دمشق ومدينة السويداء في جنوب سورية، والتي تبعد مسافة ٦٠ إلى ٨٠ كيلومترا عن خط وقف إطلاق النار في الجولان. وقالت الصحيفة أنّه لم تتمّ الاستجابة للمطلب الإسرائيلي، الذي جرى نقله في المحادثات التي سبقت بلورة

الاتفاق في تموز الماضي. وأضافت الصحيفة أنّ روسيا وافقت فقط على التعمّد بأن إيران وحلفاءها لن يقتربوا إلى مسافة خمسة كيلومترات من خطوط مناطق خفض التصعيد بين النظام السوري والمعارضة المسلحة. ويعني هذا التعمّد موافقة روسيا على إبعاد الإيرانيين عن خط إطلاق النار فقط، الذي يمتدّ من بلدة القنيطرة الجديدة باتجاه دمشق. ونشرت روسيا قوات في هذه المنطقة من أجل ضبط الاتفاق.

ب - تقديرات ايال زيسر:

وفي المجال نفسه نشر، البروفسور ايال زيسر، في صحيفة "يسرائيل هيوم" (إسرائيل اليوم) تقريراً عن أبرز التحدّيات الأمنيّة التي تواجه "إسرائيل" في المنطقة الحدودية مع لبنان وسوريا، ورأى أن التهديد الأكبر الذي تلوّح به طهران ومحور المقاومة بوجهها هو جبهة الجولان، التي عادت لتُطرح على بساط البحث العسكري مؤخراً. وتابع التقرير: "لقد فقد (الرئيس) الأسد السيطرة على مرتفعات الجولان خلال الحرب، لكن الآن تعمل قواته للعودة إلى تلك المنطقة، ذات الأهمية الإستراتيجية له ولإيران". لكن في هذا الصدد قال ضابط رفيع المستوى في الجيش الإسرائيلي إن روسيا بدأت تأخذ مكان إيران كـ"مهيمنة" في سوريا. لكن مع ذلك لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الحضور الروسي في سوريا محدود بوجود عدد من المقاتلات الحربية، فيما إيران و"حزب الله" لديهما عشرات آلاف المقاتلين، كذلك "حركة النجباء" المُنبَتّة عن قوات عصائب أهل الحق شبه العسكرية العراقية في عام ٢٠١٣ ويقودها مؤسس الجماعتين الشيخ أكرم الكعبي التي أعلنت من طهران أنّه بعد تحقيق النصر في سوريا، سينتقل عناصرها لقتال إسرائيل في مرتفعات الجولان. ودكّر التقرير بأنّه عندما استهدفت "إسرائيل" مسؤولين في حزب الله مثل الشهيد جهاد مغنية، إنتقم الحزب باستهداف جنود إسرائيليين، ولكن عندما تكون الإعتداءات الإسرائيلية ضد قوات الأسد، يترك "حزب الله" الردّ للأسد، كذلك فالحزب لا يهتم بفتح جبهة أخرى مع "إسرائيل".

على ضوء ما تقدّم يرى الإسرائيليون بأنّ السبيل الأنجع إلى منع تدهور المنحى الخطير المتكوّن في الجبهة اللبنانية السورية المشتركة يستوجب محاولة القيام بأربعة أمور هي:

- الأول، إقناع الولايات المتحدة بتنفيذ "صفقة رزمة" مع بوتين، وبموجبها تتنازل الولايات المتحدة لروسيا بإلغاء العقوبات الاقتصادية عليها وبالاعتراف بتواجدها في شرق أوكرانيا، وبالمقابل تمنع روسيا استمرار الانتشار الإيراني العسكري في سوريا.

- الأمر الثاني هو الإيضاح لروسيا بأن "إسرائيل" ستعمل بطريقة عسكرية لمنع بناء قوة إيرانية على مقربة من الحدود في هضبة الجولان. علماً أنه في السنتين الأخيرتين نجحت "إسرائيل" وروسيا في الوصول إلى تفاهات هادئة سمحت، كما يبدو، لسلاح الجو الإسرائيلي بأن يهاجم في سوريا في ظلّ التجاهل الروسي. وبعد أن حَققت روسيا مطلبها في سوريا، لا مصلحة لها في تصعيد عسكري إضافي يعرّض إنجازاتها للخطر، وتوجيه رسالة إسرائيلية حازمة وذات صدقية في هذا الموضوع ستلزم بوتين، بحسب رأي الإسرائيليين، بمراعاتها وأخذها بعين الاعتبار.

- الأمر الثالث هو العودة للشرح، سواء لأصدقاء "إسرائيل" أم بمعونتهم لأعدائها أيضاً، بأنه إذا ما فتح حزب الله المعركة فإنّ الحرب لن تتحدّد ضدّه فقط بل وستكون بالضرورة حرباً شاملة بين "إسرائيل ودولة لبنان"، ورسالة إسرائيلية بهذه الروح كفيلة بأن تردع وتمنع الذهاب إلى حرب.

- الأمر الرابع هو استغلال الكراهية التي يشعر بها سكان هضبة الجولان السوريون ضد إيران وحزب الله. و"إسرائيل" يمكنها وعليها أن تعزّز بسرّيّة العلاقة مع هؤلاء الناس إلى ما هو أكثر من المساعدة التي تعطى للجرحى السوريين في أثناء الحرب الأهلية، علماً أنّها حتى الآن امتنعت عن ذلك كي لا تُعتبر متدخلّة بصورة مباشرة في الحرب الأهلية. ولكن في ضوء الواقع المتغيّر تتعرّز الحاجة إلى خلق حليف حقيقي على مقربة من الحدود في الجولان.

وخلاصة الأمر: لأول مرة منذ سنوات عديدة يوجد خطر تغيير جيواستراتيجي إلى الأسوأ في وضع إسرائيل على الجبهة السورية، ومن السليم تكريس كل الانتباه والجهود اللازمة لهذا الموضوع.

ج - تقديرات غيورا آيلاند:

اللواء (احتياط) غيورا إيلاند من كبار الباحثين والخبراء في الشأن العسكري والأمني في "إسرائيل". وهو، إلى جانب تولّيه منصب رئيس مجلس الأمن القومي، تولّى مناصب رفيعة في جيش العدو أمّنت له، حتى سنواتٍ خلت، الاطّلاع على جاهزيّة الكيان الغاصب وخططه وتدريباته وتقديراته الاستخبارية حول حزب الله وقدراته التسليحية والقتالية. ومن بين المناصب التي تسلّمها سابقاً، رئاسة شعبة العمليات في الأركان العامة، وإشرافه على الانسحاب من لبنان عام ٢٠٠٠، ورئاسة شعبة التخطيط التي تُعنى بالتخطيط الاستراتيجي الطويل الأمد للجيش وبناء قوّته. وهو يشير إلى أنّ "الحرب المقبلة في الشمال يجب أن تكون بين إسرائيل ولبنان، لأن حزب الله هو جزء من المنظومة اللبنانية". وتطرّق إلى التقديرات الأخيرة للجيش التي تقول أنّ احتمالات اندلاع حرب مع حزب الله منخفضة، لكنها إذا وقعت فستكون قاسية بشكلٍ خاص. وأشار إيلاند إلى أنّه يتّفق مع رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو على أنّ حزب الله عالق في الحرب السورية، لكن قوته منذ حرب لبنان الثانية ازدادت وليس فقط بالكَمّ والقدرات الإعلامية، بل بإطلاق الصواريخ ودقّة الإصابة وقوتها، وهذه هي المشكلة الحقيقية لإسرائيل. فالخطأ الإسرائيلي الأكبر بالنسبة لحزب الله يرتبط بالاستراتيجية الخاطئة.

ويسأل غيورا إيلاند: "لماذا حزب الله ليس معنياً بالتصعيد؟" ويجب أنّه غير معني بالأساس "بسبب عدم شرعيته في لبنان" على حدّ قوله. ويضيف أنّه "في حين توجد شرعيّة كاملة في لبنان لشنّ هجوم ضدّ إسرائيل، من سوريا أو من لبنان، لكن لا توجد شرعيّة لعملية قد تؤدّي إلى دمار كبير في الدولة اللبنانية، وأكبر خطأ ارتكبه إسرائيل خلال حرب لبنان الثانية العام ٢٠٠٦، كان القرار بمحاربة حزب الله لوحده وترك الحكومة اللبنانية، والجيش اللبناني والبنى التحتيّة جانبا، والنتيجة كانت معركة استمرت مدّة ٣٣ يوماً وحصدت ثمناً باهظاً وأضراراً كبيرة في الجانب الإسرائيلي. لكن هذه الغلطة الاستراتيجية لم تُذكر حتى في التقرير الذي نشرته لجنة فينوغراند، التي قامت بفحص الحرب".

ويقول إيلاند: "ماذا لو خضنا حرب لبنان الثالثة بناء على الوصفة نفسها؟ النتيجة على الأغلب ستكون أسوأ من نتيجة العام ٢٠٠٦. وليكن واضحاً أن إسرائيل ليست قادرة على القضاء على حزب الله من دون أن تدفع ثمناً لا يحتمل من الضحايا والأضرار". فعلى المستوى الأساسي، يتابع إيلاند، "إن أي دولة سيادية لا

يمكنها القضاء على منظمة ما تحت دولتية ناجعة في حال توفرت الشروط الثلاثة الآتية: العدو موجود على الجانب الآخر من الحدود، المنظمة تتمتع بحماية كاملة من قبل الدولة، والدولة الحامية محصنة من أي ردّ.

وبحسب تقديرات آيلاند فإنّ "إسرائيل" هي كيان صغير مع عدد محدود من المواقع الحيوية ومع وفرة اقتصادية متدنية. فإذا ما أصيبت في الحرب المقبلة محطات توليد الطاقة، مطارات، موانئ، محطات قطارات ومستشفيات، فالثمن الذي ستدفعه، إضافة إلى مئات القتلى، سيكون تقريباً لا يُطاق وهذا التقدير لطبيعة التهديد يقودنا إلى استنتاجين: الأول: ضرورة الاستمرار بمحاولة منع تسلّح حزب الله بسلاح دقيق، ولكن لما كانت القدرة الإسرائيلية على منع ذلك على مدى الزمن موضع شك، فمن المهم التشديد على الاستنتاج الثاني وهو: إذا ما فتحت نار من لبنان نحو إسرائيل وجرنا إلى حرب لبنان الثالثة، فمحذور أن نسمح لهذه الحرب أن تستمر ٣٣ يوماً مثلما في عام ٢٠٠٦. فالحرب الطويلة ستلحق، كما أسلفنا، أضراراً لا تُطاق بالبنى التحتية العسكرية والمدنية الإسرائيلية. لذلك يرى آيلاند أنّ السبيل الوحيد لضمان أن تكون الحرب المقبلة قصيرة، يفترض شنّ الحرب من قبل "إسرائيل" ضد دولة لبنان، وليس فقط ضد حزب الله. وإسرائيل يمكنها أن تدمر البنى التحتية للبنان وكذا جيشه في غضون بضعة أيام. ولا يكفي أن يُتخذ قرار بهذه الروح في الزمن الحقيقي، حين تنشب المواجهة، بل على "إسرائيل" منذ اليوم أن تتقل هذه الرسالة ولسببين: أولاً، هكذا نحقق الرد وربما نمنع الحرب التالية، إذ أن أحداً في العالم لا يريد دمار لبنان. ثانياً، إذا ما اندلعت حرب بالرغم من ذلك فمن المهم أن تفهم الدول الغربية، والولايات المتحدة على الأقل، مسبقاً بأن "إسرائيل" اختارت هذه الإستراتيجية لانعدام البديل. يُضيف آيلاند أنّه "في ختام المناورة الكبيرة التي حصلت في الشمال بتّ وزير الدفاع ليبرمان وقادة الجيش رسالة بأن "إسرائيل" يمكنها أن تهزم حزب الله. وهذا خطأ. فحتى لو كانت إسرائيل تستطيع هزيمة حزب الله، فإن الحرب إذا استمرت نحو خمسة أسابيع مثلما في ٢٠٠٦، سيكون صعباً علينا جميعاً أن نتعايش مع الثمن الهائل".

وأخيراً وبشأن استنتاج العبر من حرب العام ٢٠٠٦، بدأ آيلاند غير مطمئن إلى النتائج، رغم المناورات العديدة التي أجراها الجيش الإسرائيلي. فرغم إشارته إلى أنّ بعض الأمور عولجت، كالتدريب بأطر واسعة

وبطريقة تمنع تكرار الأخطاء، لكن "لا يمكن القول بثقة إن بمقدور المواطنين والجيش في الدولة أن يكونوا مطمئنين وهادئين بالنسبة إلى التحدّيات المقبلة".

"فصحيح أن الجيش الإسرائيلي طوّر قدراته، لكن التطور التكتيكي لحزب الله أهم بكثير. فلديه كمية أكبر من القذائف ممّا كان لديه في السابق، وهي أكثر دقّة ومداهاً أبعد، وأخفاها بطريقة أفضل". وقال: "إذا جرى التصرّف في الحرب المقبلة وفق المفاهيم عينها التي كانت في الحرب السابقة، فقد ينجح الجيش في استهداف حزب الله بطريقة أفضل مقارنة بالحرب السابقة، لكن حزب الله سيقصف الجبهة الداخلية على نحوٍ أوسع، لذا لن يحقق الجيش انتصاراً". وقال أنّه لا يعتقد أن لدى "القيادة الإسرائيلية في الوقت الراهن الوضوح الكافي حول كيفية إدارة المعركة في الشمال وكيفية الوصول بسرعة إلى الهدف المطلوب، ذلك أنّ الاعتقاد بأنّ التطور التكتيكي لدى إسرائيل بمقدوره تحقيق نتائج مختلفة عن الحرب السابقة هو اعتقاد خاطئ".

وأوضح إيلاند، في مقابلة مع القناة العاشرة العبرية، أنّ الخشية من الحرب ليست بسبب احتمال وجود سلاح دمار شامل في حوزة حزب الله، بل بسبب ترسانته الصاروخية التقليدية التي تزيد على ١٣٠ ألف صاروخ من مختلف الأنواع والمديات، بحسب آخر التقديرات الاستخبارية الإسرائيلية. وعلى هذه الخلفية، وصف إيلاند الهجمات الإسرائيلية في سوريا بأنها "جرعة منخفضة" ويجري تفعيلها بطريقة محسوبة جداً، كي لا تتسبّب برّد مباشر ضد "إسرائيل". ولفت إلى أنّ تلميحات وزير الأمن الإسرائيلي أفيغدور ليبرمان بأن "إسرائيل لن تسمح بمرور أسلحة متطورة، بما في ذلك أسلحة غير تقليدية، إلى حزب الله، هو نوع من الإقرار غير المباشر بأنّ قوة حزب الله العسكرية تتعاضم، وأننا نهاجم فقط ما يمكن اكتشافه من عمليات تهريب أسلحة نوعية إلى لبنان". وبحسب إيلاند فإنّه "علينا الافتراض أيضاً بأنّ تعاضم قوة حزب الله لا يتعلّق فقط بالأمور المعروفة، كالترسانة الصاروخية التي تغطي كل إسرائيل، بل أيضاً بأمور إضافية غير معروفة". وحذّر إيلاند من أنه بنتيجة "انتهاء الحرب في سوريا، التي على ما يبدو سيكون حزب الله إلى جانب المنتصرين فيها، ستتموضع إسرائيل بنتيجتها أمام استحقاق وخيارات صعبة، رغم أنه لا يمكنها وليس عليها أن تقاتل حزب الله". كما حذّر من أن "إسرائيل" غير جاهزة لتحمل حرب في مواجهة مقبلة مع حزب الله، حتى وإن كانت أكثر جاهزية ممّا كانت عليه عشية حرب عام ٢٠٠٦، إذ "لا طاقة لها على تحمل تبعاتها بكل أبعادها".

في مقابل كل ذلك عرف حزب الله، بحسب رأي الاسرائيليين، كيف يتدبّر أمر تزويد وحداته بالسلاح المتطور، سواء باستجلابه من إيران عبر سوريا أو حتى بتصنيعه محلياً، على الرغم من كل المعوقات والصعوبات. والواقع أنّه لا يدور الحديث، بحسب رأيهم، عن أمر معقّد على نحو خاص، وذلك بسبب المزايا الثلاث التالية: الأولى، أنّ الحدود السورية - اللبنانية هي بطول ٣٠٠ كم، حيث أن معظم هذه المنطقة جبلية ومشجرة؛ والثانية، هي أنه في كل يوم تمرّ مئات الشاحنات من سورية إلى لبنان؛ والثالثة أنه بين طهران وبيروت لا توجد أية جهة معنيّة أو قادرة على منع حرية المرور. وبالتالي لا مفرّ من الاستنتاج بأنه برغم عمليات الإحباط الإسرائيلية المزعومة، فإنّ بناء قوة حزب الله سيستمرّ بلا عراقيل تقريباً.

د - تقديرات ليبرمان:

عكست مواقف وزير الحرب الإسرائيلي أفغدور ليبرمان، بشأن تأييد الرأي القائل أنّ أي مواجهة عسكرية على الجبهة الشمالية في المستقبل ستشمل الساحتين السورية واللبنانية، الصورة السوداوية التي تخيم على أجهزة التقدير والقرار في المؤسستين السياسية والأمنية الإسرائيلية إزاء ما آلت إليه التطورات الإقليمية الأخيرة، وهو تطور ميداني استراتيجي لم يكن حاضراً في حسابات المؤسسة الإسرائيلية، مع بدء الأحداث السورية، وبالتالي يعكس حجم الخيبة من مسار التطورات الإقليمية الأخيرة لصالح محور المقاومة في سوريا ولبنان والعراق. والإقرار بوحدة الجبهة يعني أن كلا الطرفين يأخذ بكامل الجدّة ردود فعل الطرف المقابل إزاء مبادرة أي منهما لشنّ الحرب، لاسيّما أن الساحتين السورية والإقليمية تمرّان في مرحلة انتقالية، لم تكن حاضرة كسيناريو مرجّح في وعي الأجهزة المختصة الإسرائيلية. وبالتالي فإنّ تل أبيب تخشى وترجّح أن تتوالى التطورات في اتجاهات أكثر خطورة على الأمن القومي الإسرائيلي، ممّا يجعل التجاذبات الداخلية في الكيان على أشدها في مرحلة ما قبل اكتمال القضاء على "داعش"، الأمر الذي وضع تل أبيب أمام محطة مفصليّة لبلورة الخيارات البديلة. وممّا يكشف عن عمق القلق الذي يسيطر على مؤسسات صناعة القرار، أن تقديرات ليبرمان السوداوية باتت صورة ملخّصة عن التقديرات السائدة في المؤسستين السياسية والأمنية. وممّا يؤكد هذه النظرة التشاؤمية، أيضاً، التقديرات التي أدلى بها العديد من القادة الأمنيين والسياسيين، في الأيام

الماضية، وبمن فيهم ليبرمان نفسه الذي تحدّث عن أنّ إسرائيل تواجه "شرقاً أوسطاً أسوأ بكثير من الشرق الأوسط القديم".

إنّ تأكيد ليبرمان بأنّه في حال اندلاع المعركة المقبلة "ستتحول فوراً إلى معركة على جبهتين"، لا يجسد فقط فشل الرهانات الإسرائيلية على القوى التكفيرية وداعميها في الساحة السورية، بل يكشف أيضاً عن أن المسارات السياسية والعملائية تتحرّك في اتجاهات تساهم في رفع مستوى التهديد الذي كانت تشكّله الجبهة الشمالية على الأمن القومي الإسرائيلي. وينبغي التذكير بحقيقة أنّ حديث وزير الحرب الإسرائيلي عن حرب على جبهة شمالية مشكّلة من سوريا ولبنان معاً، ليس موقفاً سياسياً نظرياً، ولا تقديراً أكاديمياً، بل هو مفهوم عملائي له انعكاساته على كافة مؤسسات القرار والتنفيذ في تل أبيب. فعلى مستوى الجيش، يعني ذلك رفع مستوى الجاهزية والاستعداد بمستويات لم يشهدها الكيان منذ عقود. ويعني، أيضاً، تقديرات مغايرة لكلفة وجدوى أي حرب قد يشنّها العدو. وسيكون لكل ذلك حضوره ومفاعيله القوية في حسابات المؤسسة السياسية لدى درس خيارات الحرب، وهو ما سيعزّز قدرة ردع حزب الله ومحور المقاومة.

أما بخصوص الجبهة اللبنانية تحديداً، فقد خصّصه ليبرمان بمفهوم بات من أدبيات الخطاب السياسي والإعلامي الإسرائيلي المألوفة في السنوات الأخيرة. لكنّه أتى هذه المرة وفق صيغة اعتبر فيها أن "الجيش اللبناني بات جزءاً من منظومة حزب الله". ويبدو واضحاً أن موقف ليبرمان يعكس مدى السخط الإسرائيلي على أداء الجيش اللبناني وموقعه في المعادلة الوطنية التي وفرت للبنان مظلة الاستقرار التي تميّز بها عن محيطه طوال سنوات عدم الاستقرار الماضية. ومن جهةٍ أخرى يهدف صنّاع القرار في تل أبيب إلى قلب الصورة بهدف تأليب الرأي العام اللبناني على المقاومة التي برزت إلى جانب الجيش كقوة تحرير وردع ودفاع عن لبنان في مواجهة كافة التهديدات، وإلى التلويح بشرعيّة استهداف مؤسسات الدولة اللبنانية ومن ضمنها الجيش لمحاولة تعزيز قدرة الردع الإسرائيلية. وهو ترجمة لقرار تبلور نتيجة الإقرار بالعجز عن حسم أي مواجهة عسكرية مع حزب الله. لكن مشكلة الإسرائيليين تبقى هي نفسها، وهي أن قدرات حزب الله تطوّرت إلى المستوى الذي نصح فيه الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله، في خطاب العاشر من محرم الأخير، الجمهور الإسرائيلي بـ"المغادرة والعودة إلى البلدان التي جاؤوا منها... لأنّ نتناهو إذا شئنا حرباً في

هذه المنطقة قد لا يكون لدى هؤلاء وقت حتى لمغادرة فلسطين، ولن يكون لهم أي مكان آمن في فلسطين المحتلة".

هـ - تقديرات وزير الإسكان يوآف غالانت:

تناول وزير الإسكان الإسرائيلي وعضو المجلس الوزاري المصغر اللواء (احتياط) يوآف غالانت، خطر الوجود الإيراني في سوريا من زاوية استراتيجية وتاريخية، ولجهة كونه التهديد الأكبر المهدق بـ"إسرائيل"، وهو ما يلتقي به مع كل أو معظم القادة السياسيين والعسكريين كما تبين معنا آنفاً. فاعتبر، بحسب تعبيره، أن "الخطر الأكبر الذي يواجهه اليوم دولة إسرائيل هو العاصفة الشيعية التي بدأت في إيران (في إشارة إلى انتصار الثورة عام ١٩٧٩) واجتاحت العراق"، في إشارة إلى مرحلة ما بعد الاحتلال الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣ الذي أدى إلى فشل الولايات المتحدة في بلورة نظام معاد لإيران في العراق وانسحاب قواتها بفعل العمليات التي كانت تنفذها فصائل المقاومة المدعومة من إيران، وفصائل أخرى أيضاً. وأضاف غالانت في مقابلة مع إحدى الإذاعات الإسرائيلية، أنّ ما سمّاه "العاصفة الشيعية" امتدت إلى لبنان، وهي تحاول الآن، "فرض هيمنتها في سوريا"، محذراً من أن "سيطرة إيران في دمشق هو أمر خطير جداً" بالنسبة إلى "إسرائيل". وهو التعبير الذي تستخدمه تل أبيب في سياق حملتها السياسية والإعلامية لمواجهة النظام السوري، وعلى رأسه الرئيس بشار الأسد، الذي رفض التنازل عن موقع سوريا ودورها في المواجهة ضد الاحتلال الإسرائيلي. وتناول غالانت مفاعيل وتداعيات تكريس انتصار محور المقاومة في سوريا، أيضاً، من زاوية تأثيره على الجبهة الشرقية لـ"إسرائيل"، مشيراً إلى أنّ بقاء إيران في سوريا سيُسهم في "الضغط على الأردن... وهو أمر يقلقنا". وخلص في ضوء هذه الرؤية إلى أن "كل تحرك يتم من أجل تفكيك المحور الشيعي هو فعل مبارك من جهة إسرائيل". وهو يشير بذلك، إلى أكثر من عنوان منها ما يتّصل بإسقاط الرئيس الأسد، لكون ذلك يخدم في تفكيك قنوات التواصل بين أطراف محور المقاومة، ومنها ما يتّصل بالمساعي الأميركية مباشرة وعبر حلفائها من أجل السيطرة على الحدود العراقية السورية، بهدف فصل دمشق عن بغداد، ومن خلالها عن طهران.

وانسجاماً مع الخطاب الرسمي والدعائي الإسرائيلي الذي يحاول أن يقدم السنّة، باستثناء الفلسطينيين، كما لو أنهم حلفاء طبيعيون للولايات المتحدة وشركاء في الموقف المُعادي للمقاومة ضدّ "إسرائيل"، رأى غالانت أيضاً، أن الولايات المتحدة باتت اليوم، في ظلّ إدارة ترامب، تدرك أنّ السنّة الذين يسكن أغلبهم في مصر والسعودية والأردن وتركيا وأماكن أخرى هم مركز العالم الإسلامي، مشيراً إلى أن "داعش" ليس لها عمق وامتداد في الوسط السني، على حدّ تعبيره.

ولفت غالانت إلى أن الخطر الحقيقي الذي يمثله حزب الله يعود إلى أن من يقف وراءه "إيران، وهي دولة صناعية وتكنولوجية غنية ومتطورة في مجالات معينة"، مُشدّداً على ضرورة التعامل معها على أنها "مشكلة وليست حلاً"، وموضحاً أن كل من يعمل على إدخالها في إطار التحالف ضد داعش "يخطئ خطأ فادحاً". وشدّد غالانت، الذي كان في السابق عضو هيئة أركان الجيش، على أن "العاصفة الشيعية هي مشكلة الشرق الأوسط"، ودعا إلى ضرورة "إعادة المارد الشيعي إلى القمقم، أي إلى إيران على بعد ١٥٠٠ كلم من هنا... ويجب أن يعودوا إلى هناك، ويجب أن لا يبقوا في لبنان ولا في سوريا".

وتناول غالانت، في مقابلة أخرى مع الإذاعة الإسرائيلية، الضربة الصاروخية الأميركية ضد القاعدة الجوية السورية، بالقول إن الرئيس ترامب "اتّخذ القرار الصائب... ونقل المعضلة إلى ملعب السوريين والروس بمعانٍ معيّنة، واعتقد أنه من هذه الناحية استقادت دولة إسرائيل". لكنّه أضاف أيضاً أنّه في أعقاب الضربة الأميركية "اشدّت التوتر" ونتيجة ذلك "أمرنا قواتنا الأمنية والجيش بالتيقّظ، والبقاء على أهبة الاستعداد ومراقبة التطورات المحتملة". وأعلن أنّ "إسرائيل" ستواصل "منع نقل أسلحة" كاسرة للتوازن" على الطريق البري من إيران إلى لبنان، وقبل أي شيء وهو أمر مفصلي: الحرص على ألاّ تكون إيران هنا، فهذا ليس مكانها".

و - تقديرات عاموس هارثيل:

رأى عاموس هارثيل، المحلّل العسكري في صحيفة هآرتس الإسرائيلية، أنّ رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أدار محادثاته مع الرئيس فلاديمير بوتين بحكمةٍ شديدة، ويبدو أنّه حصل على موافقة روسية على عدم التّدخل في حملة "إسرائيل" الجارية لمنع حزب الله من الحصول على أسلحة إيرانية متقدّمة وكاسرة

للتوازن. لكن الأسئلة الأكبر والأصعب في رأي هارثيل هي كيف ستتصرف موسكو على المدى الطويل في مواجهة تصاعد النفوذ الإيراني في المنطقة، وما إذا كانت ستتدخل في صراع محتمل بين "إسرائيل" وحزب الله. ويشير هارثيل إلى أنه من المحتمل أن يخلص الروس إلى أن سفك الدماء المتبادل سيصب في النهاية في مصلحتهم. ونقل هارثيل عن الدكتور دمترى أدامسكي من "مركز هرتسليا متعدد التخصصات"، وهو أحد أهم الخبراء الإسرائيليين في شؤون التفكير الاستراتيجي الروسي، من مقال نشره في مجلة "فورين أفيرز" أن الكرملين سوف يرغب في استغلال أي حربٍ مستقبلية بين "إسرائيل" وحزب الله للاستمرار في تقوية مواقف روسيا في الشرق الأوسط. وبحسب أدامسكي فإنّ الاستقرار الذي أحرزه نظام الرئيس الأسد، بمساعدةٍ روسية وإيرانية، قد زاد من المنافسة على النفوذ بين الداعمين اللذين سيجدان صعوبة بالعيش المنسجم معاً لفترةٍ طويلة. وفي اعتقاد أدامسكي أنّ طموحات إيران، في سوريا بشكل خاص، تصبح شيئاً فشيئاً مشكلة لروسيا، التي ترغب بطبيعة الحال بتحجيمها من دون الدخول في مواجهة مباشرة معها. ويشير أدامسكي إلى أنّه في أي حربٍ مستقبلية قد تنشب، سوف ترغب روسيا بالسماح بإطالة أمد استنزاف إيران وحزب الله لإضعافهما لكن مع عدم إلحاق الهزيمة الساحقة بهما، ومن هنا يتوقع أدامسكي أنه إذا تراءى هناك نصر ميداني إسرائيلي ساحق في الأفق فإنّ روسيا سوف تتدخل لمنعه أيضاً، لأنها تحتاج لحزب الله بوصفه جزءاً من مجال نفوذها الإقليمي في سوريا بشكلٍ خاص. ويتابع بأنّ أيّ هزيمة ساحقة لحزب الله بوجه "إسرائيل" قد تفكك توازن القوى القائم في لبنان، ممّا يؤثّر بصورةٍ سلبية على نظام الرئيس الأسد في حين ترغب روسيا، لمصلحتها أيضاً، بأن تظهر للإسرائيليين حدود قوتهم.

وينتهي أدامسكي رأيه أخيراً بالقول أنّ النتيجة المفضّلة لدى موسكو سوف تكون حرباً قصيرة في لبنان، تتدخل روسيا في نهايتها كوسيط، علماً بأنّها في نهاية حرب لبنان الثانية عام ٢٠٠٦، كانت خارج الصورة تماماً في المحادثات، تاركة الأمر للأمريكيين والفرنسيين، وبالتالي من أجل حماية حزب الله من الهزيمة، سوف تدرس روسيا القيام بحربٍ سايبيرية من دون ترك آثار واضحة تشير إلى مسؤوليتها عنها، وهو ما سيخلّ بسير العمل في الموانئ ومصافي النفط في "إسرائيل"، علماً بأنّ الروس سبقوا واستخدموا بالفعل تقنيات

شبيهة في أوقات التوترات مع أوكرانيا ودول البلطيق وتركيا. وبوسع الروس أيضاً نشر مظلة جوية حول المواقع الأساسية لحزب الله وإيران، بل وحتى استخدام الحرب الإلكترونية للتشويش على أي هجوم إسرائيلي.

٦ - خطوات الرد الاحتياطية لتشتيت الجهد:

لا تقتضى قيادة العدو تبحث دائماً عن وسيلة تمكّنها من خوض حرب ناجحة ضد حزب الله بعد سلسلة الإحباطات والفشل التي ألمّت بها منذ ظهور المقاومة الإسلامية عام ١٩٨٣ وحتى الآن. ويبدو أنها تعتقد أنّ الحلّ الأفضل هو في السعي إلى تطويق هذه المقاومة بحيث لا تتمكّن من استخدام كامل قدراتها في حربٍ مقبلة بين الطرفين. ويرى العدو في عدم تمكين حزب الله من استخدام قدراته القتالية، وخصوصاً بنيتة الصاروخية، الوسيلة الوحيدة الناجعة. لكن هذه الاستراتيجية تحتاج إلى خطوات عملية. وها قد باشر "حلف الشر" والعدوان المكوّن من الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل والسعودية والإمارات الخليجية، بالعمل على تنفيذها بأقصى سرعة ممكنة. وضمن سياق له خطواته التالية:

- أولاً، إخراج العراق من محور المقاومة:

فقد بدأ العمل الحثيث على إخراج العراق من محور المقاومة عبر وسائل عدة، أهمها العمل على تقسيم العراق وإنشاء كيانات طائفية ومذهبية وقومية وإثنية فيه تتصارع ما بينها وتبتعد أكثر فأكثر عن إيران. ولهذا بادرت السعودية إلى الانفتاح على بعض القوى الشيعية العراقية الأساسية لعزلها عن إيران، أو جعلها في الحد الأدنى، في منطقة وسطية بينها وبين إيران، برغم معرفتها أنّ العراقيين، والشيعية منهم بالتحديد، يتعاطون مع إيران ومحور المقاومة كشريكٍ أساسي لهم في حربهم ضد "داعش" ذات المنشأ السعودي، إلا أنّ الرياض مع ذلك تحاول اللعب على الوتر القومي المخادع والمزيف في هذا المجال.

وعلى خطّ موازٍ، بدأ الحديث في الإعلام السعودي عن رغبة "سنّة" العراق في قيام كيان مستقل لهم، من دون الأخذ بعين الاعتبار دور المرجعية الشيعية في النجف والوقف السني، المتمسكين بوحدة العراق. ولهذه الأسباب وفي السياق نفسه، نجد أنّ "إسرائيل"، قد دعمت استفتاء كردستان بشكلٍ علني، كما السعودية

بشكلٍ ضمني. وهنا أصبحت الأطراف العراقية الشيعية التي انفتحت السعودية عليها في موقفٍ حرج، فمن جهة هي لا ترى مصلحة لها في معاداة السعودية، ومن جهةٍ أخرى، وجدت أنّ سكوتها عن نتائج الاستفتاء سيتحوّل دعماً لتقسيم العراق. بالتالي إن تقسيم العراق وقيام كيان كردي مدعوم من "محور الشر"، يعني إلهاء إيران ومعها تركيا وسوريا بحربٍ طويلةٍ مع هذا الكيان المصطنع الجديد، والنتيجة هي أنّه بدل أن يكون الجهد الإيراني منصباً ضد "إسرائيل"، سيكون مضطراً للتشتت والاستنفار الدائم بوجه الكيان الكردي الذي يلعب داخل بيته، نظراً لوجود جزء كبير من الأكراد في إيران وأيضاً في سوريا. كذلك فإنّ وجود كيان طائفي في غرب العراق، وتديره السعودية، باسم أهل السنة، ستكون مهمته فصل حكومة بغداد عن سوريا، ما يجعل الحكومة السورية في حالة حرب مفتوحة على حدودها الشرقية، ممّا يشغل دمشق في مناوشات فرعية ويبعدها عن تأدية دورها النضالي في أيّ حربٍ تشنّها "إسرائيل" ضد لبنان.

- ثانياً، إلغاء الاتفاق النووي ومفاعيله الإيجابية على إيران:

الخطوة الثانية التي يعمل عليها "محور الشر" الآنف الذكر هي السعي لإلغاء الاتفاق النووي مع إيران، والعودة إلى الحصار والعقوبات الاقتصادية القاسية لعزل إيران ودفعها للاهتمام بمشاكلها الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى أعباء الجبهة الكردية. ومن الواضح أنّ الرئيس الأميركي دونالد ترامب يسعى جاهداً لإلغاء هذا الاتفاق، وهو يحضّر لسلسلة عقوبات على إيران، متجاوزاً كل اعتراضات الدول الخمس التي قد لا تستطيع الوقوف بوجهه، على الأرجح، وستسير معه ولو مرغمة. وكذلك هناك رأي أميركي قوي مؤيد لمشروع ترامب، بأنّ إلغاء الاتفاق النووي سيفجّر الخلافات داخل إيران بين المحافظين والإصلاحيين ممّا سيزيد في إرباك إيران داخليا.

- ثالثاً، إضعاف سوريا بعد انتصار حكومتها على الإرهاب:

بعد فشل رهان واشنطن على الإرهاب، تعمل في سوريا لتحقيق أمرين: الأول يتعلّق بتمكين الأكراد السوريين وتشجيعهم على الانخراط في الدولة الكردية وإبعادهم عن النظام في سوريا ولو عنوة وتحريضهم ضد النظام والحكومة، ثانياً تعمل بقوة لإدخال المعارضين إلى السلطة، عند إتمام التسوية، ليكونوا أدواتها في منع

اتخاذ أي قرار يمكن للحكومة السورية أن تتخذه، سواء في مواجهة الأكراد أو "إسرائيل". وسيكون الجانب الاقتصادي هو الأداة الرئيسة للضغط على الحكومة السورية العتيدة، لكون الإعمار هو هدفها الرئيس في المستقبل. وهنا تتكرر تجربة الرئيس رفيق الحريري في لبنان عام ١٩٩٢ التي أنتجت اقتصاداً تابعاً وعاجزاً ومناقضاً لفكرة المقاومة. وهذا ما يريدون تكراره، بجعل سوريا تغرق في مواجهة ملفات اقتصادية تمنعها من التصدي لدورها التحرري في محور المقاومة.

- رابعاً: تحييد جبهة غزة:

الخطوة الرابعة بدأت طلائعها من مصر التي استطاعت قيادتها جمع السلطة الفلسطينية و"حماس" تحت عنوان المصالحة الفلسطينية، إلا أن الهدف الأساسي من تولي السلطة الفلسطينية الإدارة في قطاع غزة، هو بالضبط ما أشار إليه الرئيس محمود عباس بقوله أن حكومته "لن تسمح بقيام منظمة شبيهة بحزب الله في غزة" وذلك رداً على مطالبة "حماس" بتكرار تجربة لبنان الهادفة إلى حفظ سلاح المقاومة. وهذا يعني أن المقاومة في غزة سوف تكون عرضة لبرنامج مضايقات سياسية وغير سياسية تقيد عملها وتمنعها من مواصلة جهادها ضد الاحتلال.

صحيح أن مشاركة المقاومة الفلسطينية في أي حرب بين المقاومة الإسلامية اللبنانية و"إسرائيل" قد لا تكون ذات تأثير كبير على موازين الحرب، لكن تحييد حماس وعزلها بالذات يريح العدو من حيث أنه يوفر إبعاد مقاومة تقودها مجموعة إسلامية ذات خلفية سنّية، ممّا يكسبه الطمأنينة في الشارع السنّي العربي المستنفر باعتبار أن حربه هي مع حزب الله لوحده وتستهدف الشعية فقط.

- خامساً، حصار حزب الله مالياً وسياسياً في الداخل:

يستعجل الرئيس الأميركي دونالد ترامب إصدار قانون العقوبات الجديد على حزب الله، مستهدفاً مرة جديدة الضغط على الحزب وبيئته الحاضنة. وتتولّى السعودية الاستثمار السياسي في هذا المجال من خلال إعادة جمع ما فرقه في لبنان فشل سياساتها في المنطقة ولاسيما اليمن. وهي بدأت باستدعاء كل الأطراف المكوّنة سابقاً لقوى "١٤ آذار" لتكون صقاً واحداً في الانتخابات النيابية المقررة العام المقبل ضد جبهة

المقاومة بأكملها بدءاً برئيس الجمهورية العماد ميشال عون وحتى آخر مقاوم في المنطقة. وكذلك لاستعادة فعالية ثقلها النيابي الحالي في حال عدم إجراء انتخابات، كونها تشكّل ٧٢ نائباً من أصل ١٢٨، وذلك بهدف العودة إلى الأغلبية النيابية المريحة، ليس بالضرورة أن تكون حاكمة، إنّما يكفي أن تقيّد حزب الله من خلال الالتفاف الشعبي حولها، وستدعم السعودية هذه الحركة بنشاط إعلامي كبير، مع التركيز على تشويه سمعة وصورة حزب الله واتّهامه زوراً بأنّه هو مصدر الشرور على لبنان اقتصادياً وإنمائياً وسياسياً.

إن هذه الخطوات الخمس التي يعمل عليها "محور الشر" تشكّل عناصر الصورة الكاملة تحضيراً للمعركة المقبلة التي لا يمكن أن تتشب من دون إتمامها.

٧- خاتمة:

لقد أدّت التطورات والانتصارات الإقليمية الباهرة التي حقّقها محور المقاومة بوجه محور الشر الذي يضمّ الصهيونية والاستكبار العالمي والرجعية العربية إلى تشكيل مشهد جديد أجمعت المؤسسات السياسية والأمنية والعسكرية في تل أبيب، على توصيفه بأنّه تهديد للأمن القومي الإسرائيلي. وهو ما برز في تقدير "الموساد" أمام الحكومة الإسرائيلية (٢٠١٧/٨/١٣)، من أن "المنطقة تتغيّر في غير مصلحتنا"، وفي اليوم نفسه حدّر ننتيا هو أيضاً من مفاعيل القضاء على "داعش" ممّا يصبّ في مصلحة إيران وحلفائها في المنطقة. ورأى رئيس أركان جيش العدو، غادي ايزنكوت، في مقابلته بمناسبة عيد رأس السنة العبرية، أن المؤسسة العسكرية تنظر إلى التطورات في الساحة السورية على أنّها خطيرة، ثم أجمل وزير الأمن أفيغدور لبيرمان القراءة الإسرائيلية للواقع الإقليمي الجديد، بالقول: "للأسف الشديد نحن نعيش واقعاً جديداً في شرق أوسط جديد أسوأ بكثير من الشرق الأوسط القديم. وفي هذا الواقع الجديد الرهيب نتنظرنا اختبارات صعبة" ("هآرتس" ٢٠١٧/١٠/٢).

في مواجهة هذا التحديّ بلورت تل أبيب، ومعها واشنطن، خيارات بديلة على أكثر من مسار إقليمي، من ضمنها إعادة فتح ملف الاتفاق النووي. لكن المشكلة أن "إسرائيل" تجد صعوبة في التعايش مع الواقع

الإيراني، بكافة عناوينه النووية والصاروخية والسياسية، وتدرك أيضاً عجزها عن إحداث أي تغيير دراماتيكي في كل هذه المسارات. من هنا، فإن آمالها معقودة على السياسات الأميركية، وعلى تحالفاتها الإقليمية العربية الرجعية.

من غير الممكن التقدير بأن "إسرائيل" ترى مصلحتها الكبرى في إسقاط الاتفاق النووي الإيراني الذي يشكل تهديداً لأمنها القومي، بعيداً عما تقدّره من مفاعيل وتداعيات تشكّل بديلاً للواقع القائم. وهو ما يدفع إلى التساؤل عن حقيقة ما تراهن عليه تل أبيب من وراء الدعوة إلى إلغاء الاتفاق أو تعديله، خاصة أنها تدرك أنّ إيران لن تسلّم بأي من الخيارين، وسيكون لها خطواتها وإجراءاتها المضادة.

الحقيقة أنّ تل أبيب تنطلق من رؤية مفادها أنّ جميع الطرق الدبلوماسية لن تؤدي إلى إحداث تغيير كبير في السلوك الإقليمي لإيران التي تمكّنت من إفشال كافة المخططات والدسائس والمؤامرات ضدها وتعزيز محور المقاومة وتعاضم التهديد على الكيان الغاصب. وفي الوقت نفسه، لا تستطيع تل أبيب التكيف مع النهج الجيوستراتيجي الخطير الذي تنتهجه الجمهورية الإسلامية. ومن هنا تأتي مساعيها الحثيثة في الدفع نحو إلغاء الاتفاق النووي أو تعديله أولاً، لكن على أمل أن يؤدي ذلك إلى التدرج نحو لکمات عسكرية متبادلة بين إيران والولايات المتحدة.

من هنا، يتّضح أنّ العنوان الأولي لدى العدو هو البرنامج النووي الإيراني وما قد ينطوي عليه من مفاجآت علمية وتقنية تمكّن إيران من اكتساب المزيد من المنعة والمناعة ومن القيام ربما بقفزات وإبداعات في حالي السلم والحرب، لكن الخلفيات الإسرائيلية تتمحور أيضاً حول الضغط من أجل إحداث تعديلات في الخيارات الاستراتيجية الإيرانية المتّصلة بالموقف من القضية الفلسطينية بالذات، ودعم حزب الله وقوى المقاومة على هذا الصعيد، وإلا فإنّ على إيران، بحسب محور الشر والإجرام الصهيوني الأميركي الرجعي العربي، أن تدفع الأثمان التي تعرقل مسيرتها العلمية والصاروخية والاقتصادية في أقل تقدير.